مكتبة عقبة كراجة
التاريخ ١٧/ ذو القعدة/ ١٤٢٦هـ
الرقم (٤٦٦)

البكاء
من خشية الله
تعالى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة

١٤٢٣ هـ

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

سلسلة فقه الدعوة وتزكية النفس (٩)

البكاء من خشية الله تعالى

بقلم
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَّ الحمْدَلله، نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أَنْفُسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يَهدِه الله فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلل فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدهُ ورَسولهُ.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُسْلِمونَ ﴾[1].

﴿ يا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم من نفْسٍ وَاحدَةٍ وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رجَالاً كَثيراً ونساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً يُصْلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدْي هدْي محمّد ﷺ، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

استوَحَش الناس من الذنوب وقست القلوب، فمنَعَت العيون دموعها وبكاءها، وحُرمت القلوب حلاوة الإيمان ولذّتها، إلا من رَحم الله وقليلٌ ما هم، فرأيت الحاجة ماسَّة للكتابة في هذا الموضوع؛ مبيّناً فضل البكاء من خشية الله ـ سبحانه ـ موضحاً السبيل إلى ذلك، مُعالجاً العوائق قدْر المستطاع، ذاكراً بعض النصوص والآثار في بكاء النّبيّ ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

أسأل الله تعالى أن يتقبَّل منّي عملي ولا يجعل لأحدٍ

---

(١) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

منه، شيئاً إنّه على كل شيء قدير.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

البكاء من خشية الله

قال الله تعالى: ﴿اللهُ نزّل أحسنَ الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعرُّ منه جلودُ الذين يَخْشَوْن ربّهم ثمّ تلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يَخرُّونَ للأذقان سُجداً ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولا ويَخرُّون للأذقان يبكون ويَزيدُهُم خشوعاً﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿أولئك الذين أنعَمَ الله عليهم من النّبيّين من ذريّة آدم وممّن حمَلْنا مع نوح ومن ذرّية إبراهيم وإسرائيل وممّن هدينا واجتبينا إذا تُتْلَى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سُجداً وبُكيّا﴾[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعْت رسول الله

---

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الإسراء: ١٠٧ـ١٠٩.

(٣) مريم: ٥٨.

ﷺ يقول: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه، يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ـ عزّ وجلّ ـ ورجلٌ قلبه مُعلّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرّقا عليه، ورجلٌ دعَتْه امرأة ذات منصبٍ وجمال، فقال: إنّي أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقةٍ فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجلٌ ذكَر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَلِج النّار رجلٌ بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضّرْع، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنّم»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٦٠، ومسلم: ١٠٣١، وغيرهما، وانظر للمزيد من الفوائد الحديثية «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٠١).

(٢) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (٢٩١١) والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وغيرهم، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٣٨٢٨).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعْت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسُّهما النّار: عين بكَت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «حُرّم على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من الكُفر»[2].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «ليس شيءٌ أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله تعالى، وقطرة دم تُهراقُ في سبيل الله، وأمّا الأثران: فأثرٌ في سبيل الله ـ تعالى ـ، وأثرٌ في فريضة من فرائض الله تعالى»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٣٨)، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٣٨٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (الترغيب في البكاء من خشية الله).

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٦٣) وقال: حديث حسن، وحسّن شيخنا ـ رحمه الله ـ إسناده في «المشكاة» (٣٨٣٧). =

وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى[1] لمن ملَك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على

= وقال المُناوي في «فيض القدير» (٥ / ٣٦٥): «(ليس شيء أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع) أي: قطراتها، فلمّا أضيفت إلى الجمع أُفردت ثقة بذهن السامع؛ نحو كلوا في بطنكم، (من خشية الله) أي: من شدة خوف عقابه أو عتابه (وقطرة دم تُهراق في سبيل الله) أفرد الدم، وجمع الدمع تنبيهاً على تفضيل إهراق الدم في سبيل الله على تقاطر الدموع (وأمّا الأثران: فأثرٌ في سبيل الله، وأثرٌ فريضة من فرائض الله) قال ابن الأعرابي: الأثر: ما يبقى بعده من عمل يجري عليه أجره من بعده، ومنه قوله: ﴿ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾.

وقال غيره: الأثر: ما يبقى من رسول الشيء وحقيقته ما يدلّ على وجود الشيء، والمراد: خطوة الماشي وخطوة الساعي في فريضة من فرائض الله، أو ما بقي على المجاهد من أثر الجراحات، وعلى الساعي المتعب نفسه في أداء الفرائض والقيام بها والكدّ فيها كاحتراق الجبهة من حرّ الرمضاء التي يسجد عليها، وانفطار الأقدام من برد ماء الوضوء ونحو ذلك».

(١) هي شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنّة تخرج من أكمامها، لقوله ﷺ: «طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». أخرجه أحمد وغيره، وهو =

خطيئته»[1].

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! ما النّجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك؛، وليسعْك بيتك، وابْكِ على خطيئتك»[2].

التحذير من قسوة القلب

حذارِ من قسوة القلب حذارِ؛ فإنها تُفضي بك إلى النار؛ فاجتنب قسوة القلب وأسبابها، وإياك أن تُعرض عن مواعظ الله ـ سبحانه ـ.

= حديث حسن لغيره، خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة»(١٩٨٥).

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» وحسّن إسناده كذا قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٢٣٣) وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» وعنه أحمد والترمذي وغيرهم، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (٢/٥٨١ ـ ٥٨٤).

قال الله تعالى: ﴿**ألَمْ يأن**[1] **للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قَبْل فطال عليهم الأمد**[2] **فقسَت قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون**﴾[3].

وجاء في تفسير هذه الآية ما رواه أبو حازم؛ أنّ عامر بن عبدالله بن الزبير أخبره، أنّ أباه أخبره، أنّه لم يكن بين إسلامهم وبين أنْ نزلت هذه الآية؛ يُعاتبهم الله بها إلا أربع سنين ﴿**ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**[4]﴾[5].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية:

---

(١) أي: ألم يَحِن.

(٢) أي: طال الزمان بينهم وبين أنبيائهم. «تفسير البغوي».

(٣) الحديد: ١٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٨٠).

(٥) الحديد: ١٦.

« مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله »[1].

البكاء[2] رحمةٌ جعلها الله في قلوب العباد

---

(١) ذكره البغوي في « تفسيره » .

(٢) قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: « البكاء أنواع:

أحدهما: بكاء الرحمة والرأفة.

والثاني: بكاء الخوف والخشية.

والثالث: بكاء المحبّة والشوق.

والرابع: بكاء الفرح والسرور.

والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

والسادس: بكاء الحزن.

والسابع: بكاء الخور والضعف.

والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلب قاس.

والتاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه؛ كبكاء النائحة بالأجرة...

والعاشر: بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجلُ الناس يبكون لأمرٍ ورد عليهم؛ فيبكي معهم، ولا يدري لأي شيء يبكون، فيبكي. « زاد المعاد » (١ / ١٨٥ – ١٨٦) بحذف يسير.

عن أسامة بن زيد قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أنّ صبياً لها، أو ابناً لها في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها، فأخبرها أنّ لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيءٍ عنده بأجل مسمّى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب»، فعاد الرسول فقال: «إنها قد أقسمت لتأتينها».

قال: فقام النّبيّ ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم، فرفع إليه الصبيّ، ونفسه تقعقع[1] كأنها في شنّة[2]، ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله! قال: «هذه رحمةٌ؛ جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحمُ الله من عباده الرحماء»[3].

بكاء النّبي ﷺ[4]

عن عبدالله قال: قال لي النّبيّ ﷺ: «اقرأ عليَّ فقرأتُ

---

(١) القعقعة: حكاية حركة الشيء يُسمع له صوت، والمعنى هنا: تضطرب وتتحرّك، أراد: كلّما صار إلى حالٍ؛ لم يلبث أن ينتقل إلى أخرى تقربه من الموت. وانظر «النهاية».

(٢) هي القربة الخَلِقة البالية.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٦٥٥، ومسلم: ٩٢٣.

(٤) قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ في «زاد المعاد» (١/١٨٣): =

عليه بسورة النساء، حتى إذا بلغتُ ﴿ فكيف إذا جئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[1]. فنظرتُ إليه، فإذا عيناه تدمعان[2].

وقد جاء تفسير هذه الآية الكريمة في حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النّبيّ ومعه الرّجلان، ويجيء النّبيّ ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقلّ، فيقال له: هل بلَّغْتَ قومك؟ فيقول: نعم. فَيُدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال: من شهد لك؟ فيقولون: محمّد وأمته.

فتُدعى أمَّة محمّد فيقال: هل بلَّغ هذا؟ فيقولون: نعم.

= «وأمّا بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت؛ كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهمُلا (أي: حتى تفيضا وتسيلا) ويُسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارةً رحمةً للميت، وتارة خوفاً على أمته وشفقةً عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق ومحبةٍ وإجلال مُصاحب للخوف والخشية ...».

(١) النساء: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري: ٥٠٥٠، ومسلم: ٨٠٠.

فيقول: وما علْمكُمْ بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبيُّنا بذلك أنَّ الرُّسُل قد بلَّغوا، فصدَّقناه.

قال: فذلكم قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكُم أُمَّةً وسطاً لتكُونوا شُهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيداً**[1]﴾[2].

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يُصلِّي ويبكي حتى أصبح»[3].

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يُصلِّي حتى لم يكد يركع، ثم ركع، فلم

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٥٧)، وأحمد، والبخاري نحوه برقم (٧٣٤٩)، وهو في «الصحيحة» (٢٤٤٨).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٨٩٩)، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٠).

يكد يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، فلم يكد أن يسجد، ثم سجد، فلم يكد أن يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، فلم يكد أن يسجد، ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي ويقول: ربِّ ألم تعدني أن لا تُعذِّبهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك! فلما صلّى ركعتين انجلت الشمس، فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

«إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذِكْر الله»[1].

---

(١) أخرجه النسائي في «صلاة الكسوف» كما في «مختصر الشمائل» رقم (٢٧٨)، و قال شيخنا ـ رحمه الله ـ: «قلت: وكذا أبو داود (١١٩٤)، وهو مخرج في «صحيح سنن أبي داود» (١٠٧٩)، و«الإرواء» (٢٦٢)، وسنده صحيح عند بعضهم، وفيه ركوعان في كلّ ركعة، وهو المحفوظ في أحاديث الكسوف في «الصحيحين» وغيرهما عن ابن عمرو وغيره؛ كما هو مبين في المصدرين المذكورين، وفصلّته تفصيلاً في جزء لي في «صفة صلاة الكسوف»، فما في رواية الكتاب من ذكر الركوع مرّةً شاذ لا يصح ...».

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصُر بجماعة فقال: علامَ اجتمعَ عليه هؤلاء؟ قيل: على قبرٍ يحفرونه.

قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعاً؛ حتى انتهى إلى القبر، فجثا عليه، قال: فاستقبلتُه من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلَّ الثَّرى من دموعه، ثم أقبل علينا، قال: أي إخواني! لِمثل اليوم فأعدوا»[1].

عن عبدالله بن الشِّخِّير ـ رضي الله عنه ـ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلّي بنا، وفي صدره أزيز[2] كأزيز المرجل[3] من البكاء»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ»، وأحمد، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٨٣)، وغيرهم، وهو حديث حسن خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٧٥١).

(٢) هو صوت البكاء.

(٣) هو القدر إذا غلت.

(٤) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٧٩٩)، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (١١٥٦)، والترمذي في «الشمائل» =

بكاء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: وعَظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ وجلَت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودِّع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ تأمّر عليكم عبد حبشي وإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنّة الخفاء الراشدين المهديّين، عضُّوا عليها بالنواجذ[1] وإيّاكم ومُحدثات الأمور، فإن كلّ بدعة ضلالة»[2].

= وقال الحافظ في «الفتح»: «إسناده قوي»، وصحّحه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٢٩).

(١) أي: اجتهدوا على السُّنّة والزموها، واحرصوا عليها؛ كما يلزم العاضّ على الشيء بنواجذه؛ مخافة ذهابه وتفلّته، والنواجذ: الأنياب، وقيل: الأضراس. قاله المنذري في «الترغيب والترهيب».

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٥١)، والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢١٥٧)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٠) وغيرهم، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعْتُ مثلها قطّ، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين[1]»[2].

بكاء أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ

كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لا يُسمع الناس قراءته في الصلاة من البكاء؛ كما أخبرت بذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «إنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلّي بالنّاس.

قالت عائشة: قلت: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمُر عمر فليصلِّ.

---

(١) هو ضرب من البكاء دون الانتحاب، وأصل الخنين: خروج الصوت من الأنف، كالخنين من الفم. «النهاية».

وقال الحافظ في «الفتح»: «لهم حنين ـ بالحاء المهملة للأكثر ـ وللكشميهني بالخاء المعجمة، والأول: الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، والثاني: من الأنف..

(٢) أخرجه البخاري: ٤٦٢١، ومسلم: ٢٣٥٩.

فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس، قالت عائشة لحفصة: قولي له إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء؛ فمر عمر فليصلِّ للناس ففعلت حفصة.

فقال رسول الله ﷺ: مه[1] إنكن لأنتنّ صواحب يوسف[2]. مروا أبا بكر فليصلّ للناس، قالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً»[3].

وفي رواية أُخرى: «إنّ أبا بكر رجل أسِيف إذا قام في

---

(١) أي: اكفُفي.

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: «ووجه المشابهة بينهما في ذلك: أن زليخا استدعت النّسوة؛ وأظهرت لهنّ الإكرام بالضيافة، وأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أظهرت أنّ سبب إرادتها صرْف الإمامة عن أبيها، كونه لا يُسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومُرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به، وفي «صحيح البخاري»(٤٤٤٥) و«صحيح مسلم» (٤١٨)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته؛ إلا أنه لم يقع في قلبي أن يُحبّ الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كُنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه، إلاّ تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر».

(٣) أخرجه البخاري: ٧١٦، ومسلم: ٤١٨.

مقامك، لم يستطع أن يصلّي بالنّاس»[1].

بكاء عمر ـ رضي الله عنه ـ

وكان بكاء عمر ـ رضي الله عنه ـ يُسمَع من آخر الصفوف؛ كما روى ذلك عبدالله بن شدّاد قال: «سمعت نشيج[2] عمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ: ﴿**إنّما أشكو بثّي وحُزني إلى الله**[3]﴾[4].

بكاء عثمان بن عفّان ـ رضي الله عنه ـ

عن هانيء مولى عثمان قال: كان عثمان بن عفّان إذا

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٦٤، ومسلم: ٤١٨.

(٢) النشيج: صوت معه توجّع وبكاء. «النهاية».

(٣) يوسف: ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري معلّقاً بصيغة الجزم (كتاب الأذان) «باب إذا بكى الإمام في الصلاة»، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المختصر» (١/١٨٢): «وصله سعيد بن منصور بسند صحيح عنه، وزاد في «صلاة الصبح»، وأخرجه ابن المنذر من طريق أُخرى عن عمر نحوه، وأخرجه البيهقي أيضاً (٢/٢٥١) عنه وسنده صحيح، وفيه أنّ القراءة كانت في «العتمة» ـ يعني العشاء ـ فلعلّهما حادثتان».

وقف على قبر، يبكي حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكُرُ الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ القبر أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه. وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيتُ منظراً قطُّ إلاّ والقبرُ أفظع منه»[1].

بكاء عائشة ـ رضي الله عنها ـ

عن ابن الحارث ابن أخي عائشة ـ زوج النّبيّ ﷺ لأمّها ـ أنّ عائشة حُدّثت أنّ عبدالله بن الزبير قال في بيعٍ أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرنَّ عليها! فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليّ نذر أن لا أُكلّمَ ابن الزبير أبداً.

فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا

---

(١) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٧٨)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤٢)، وقال الترمذي، هذا حديث غريب، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (١٣٢): إسناده حسن.

والله لا أُشفِّع فيه أبداً، ولا أتحنَّث[1] إلى نذري.

فلمّا طال ذلك على ابن الزبير؛ كلَّمَ المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ـ وهما من بني زُهرة ـ وقال لهما: أنشدُكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلُّ لها أن تنذر قطيعتي[2]، فأقبلَ به المِسور وعبدالرحمن مُشتملَين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنّا؟ قالت: نعم ادخلوا كلّكم ـ ولا تعلمُ أنّ معهما ابن الزبير ـ.

فلمّا دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب؛ فاعتنق عائشة وطفِقَ يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبدالرحمن يُناشدانها إلا ما كلّمته وقبلت منه، ويقولان إنّ النّبيّ ﷺ نهى ما قد عَلِمت من الهجرة، فإنه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال.

---

(١) أي: لا أكتسب الحنث، وهو الذنب. «النهاية».

(٢) قال الحافظ: «لأنه ابن أُختها، وهي التي كانت تتولى تربيته غالباً».

فلمّا أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج[1] طفقت تُذكِّرهما وتبكي وتقول: إنّي نذرت، والنّذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلّمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكُرُ نذرها بعد ذلك؛ فتبكي حتى تبلَّ دموعها خمارها»[2].

بكاء أمّ أيمن وتهييجها أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ على البكاء

عن أنس قال: قال أبو بكر ـ رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر ـ: انطلق بنا إلى أمّ أيمن[3] نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلمّا انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يُبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ،

---

(١) أي: الوقوع في الحرج، وهو الضيق، لما ورد في القطيعة من النهي. «الفتح».

(٢) أخرجه البخاري: ٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥.

(٣) وقد كانت ـ رضي الله عنها ـ حاضنة رسول الله ﷺ وخادمته في طفولته.

ولكن أبكي أنّ الوحي قد انقطع من السماء، فهَيَّجَتْهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها»[1].

بكاء عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ

عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم «أنّ عبدالرحمن ابن عوف ـ رضي الله عنه ـ أُتِيَ بطعام ـ وكان صائماً ـ فقال: قُتل مُصعب بن عمير ـ وهو خيرٌ منّي ـ كُفِّن في بردة إن غُطِّيَ رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه. وأُراه قال: وقُتل حمزة ـ وهو خير منّي ـ ثمّ بسط لنا من الدنيا ما بُسط ـ أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتُنا عُجلَت لنا، ثمّ جعل يبكي حتى ترك الطعام»[2].

بكاء سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ

عن أنس قال: «اشتكى سلمان، فعاده سعد، فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبتَ رسول الله ﷺ؟ أليس، أليس؟

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٤٥٤.

(٢) أخرجه البخاري: ١٢٧٥.

قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين؛ ما أبكي ضِنّاً للدنيا ولا كراهيةً للآخرة. ولكنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً؛ فما أُراني إلا قد تعدَّيْت.

قال: وما عَهِد إليك؟

قال: عَهِد إليّ أنّه يكفي أحدكم مِثل زاد الراكب، ولا أُراني إلا وقد تعدَّيت، وأما أنت يا سعد! فاتق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همّك إذا هَمَمْتَ»[1].

قال ثابت: «فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده»[2].

بكاء أبي هاشم بن عُتبة[3] ـ رضي الله عنه ـ

عن سَمُرَة بن سهم قال: «نَزلْتُ على أبي هاشم بن عتبة وهو طعين، فأتاه معاوية يعوده فبكى أبو هاشم، فقال

---

(١) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣١٢)، وغيره، وهو صحيح وانظر «الصحيحة» تحت رقم (١٧١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣١٢).

(٣) انظر ـ إن شئت ـ ترجمته في «الإصابة» (١١٨٠).

معاوية: ما يبكيك؟ أي خال! أوجعٌ يُشئزك[1]، أم على الدنيا، فقد ذهب صفْوُها؟

قال: كلاّ؛ ولكنّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً، وددتُ أني كنتُ تبعته. قال: إنك لعلّك تدرك أموالاً تُقسم بين أقوام. وإنما يكفيك من ذلك: خادم، ومَرْكَبٌ في سبيل الله».

فأدركت، فجمعت»[2].

السبيل إلى البكاء من خشية الله تعالى

أولاً: تقوى الله سبحانه والمجاهدة فيه والإخلاص[3] له:

قال الله سبحانه: ﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾[4].

---

(١) أي: يُقلقك، يقال: شئز فهو مشئوز. وأشازه غيره، وأصلُه الشاز، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة. «النهاية».

(٢) أخرجه أحمد والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٩٦)، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (٤٩٦٥)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣١١)، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «التعليق الرغيب» (٤/١٢٣).

(٣) انظر كتابي «الإخلاص».

(٤) البقرة: ٢٨٢.

جاء في «روح المعاني» (٢ / ٦١): «﴿واتقوا الله﴾: فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ويعلّمكم الله﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم».

وقال سبحانه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا﴾[١].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «ثلاثٌ من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكُفر بعد أن أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يُقذف في النّار»[٢].

وحلاوة الإيمان تتضمن البكاء.

ثانياً: العلم:

قال الله تعالى: ﴿إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾[٣].

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري: ١٦، ومسلم: ٤٣.

(٣) فاطر: ٢٨.

وقال الله تعالى: ﴿ **أولئك الذين أنعم اللهُ عليهم من النّبيّين من ذرّية آدم وممّن حملنا مع نوحٍ ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممّن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سُجداً وبُكيّاً فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يَلْقَوْن غيّا إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون شيئاً** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **قُل آمنوا به أو لا تؤمنوا إنّ الذين أُتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرُّون للأذقان سُجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعْدُ ربِّنا لمفعولاً ويخرُّون للأذقان يَبْكون ويزيدُهُم خشوعاً** ﴾[2].

وجاء عن عبدالأعلى التيمي في هذه الآية الكريمة: «من أُوتي من العلم ما لا يبكيه؛ لخليق ألا يكون أوتي علماً ينفع، لأن الله تعالى نعَت العلماء، فقال: ﴿ **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذي أتوا العِلم من قبله ...** ﴾ الآية.».

---

(١) مريم: ٥٨ - ٦٠.

(٢) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

وقال تعالى: ﴿ولِيَعْلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقُّ من ربّك فيؤمنوا به فتُخبت[1] له قلوبُهم وإنّ الله لهادي الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم﴾[2].

وعن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إنّ السماء أطّت[3] وحقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملكٌ واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذْتُم بالنّساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله»[4].

---

(١) أي: فتسكن وتخضع، وتذلّ له قلوبهم.

(٢) الحج: ٥٤.

(٣) قال في «النهاية»: «الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي: أنّ كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلتها حتى أطّت». والقَتَب: الرحل الصغير وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٤) أخرجه أحمد، والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٢)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٧٨) وغيرهم، وهو حديث حسن خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٧٢٢)، وأخرجه البخاري مختصراً جداً بلفظ: «لو تعلمون ما أعلم؛ =

ثالثاً: ذكر الموت:

لا شكّ أنّ الموت يهدم اللذات ويقطعها؛ كما في قول رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم[1] اللّذات: الموت؛ فإنّه لم يذكُره أحدٌ في ضيق من العيش إلاّ وسَّعه عليه، ولا ذَكره في سعةٍ إلاّ ضيَّقها عليه»[2].

واللّذات هي التي تحول دون دمْع العين وحزن القلب،

= لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» كما أشار شيخنا ـ رحمه الله ـ في المصدر المذكور.

وقد تقدّم ذلك في حديث أنس من كتابنا هذا (باب بكاء الصحابة) من حديث البخاري: ٤٦٢١، ومسلم: ٢٣٥٩.

(١) هاذم: بذال معجمة: قاطع، وبمهملة: مزيل ...، وانظر «فيض القدير».

(٢) أخرج الشّطر الأوّل منه النسائي «صحيح سنن النسائي» (١٧٢٠)، والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٧٧)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٣٤) وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ: بل هو حديث صحيح فإنّ له شواهد كثيرة ... وأخرجه ابن حبان والحاكم وغيرهم، والشطر الآخر: «فإنه لم يذكره...» حسن كما في «الإرواء» تحت الحديث (٦٨٢).

فأكثر من ذِكْر الموت؛ مستشعراً ما بعده من أهوال، متخوفاً سوء المصير؛ لتحظى بالبكاء من خشية الله، وإنّه ليسير على من يسره الله عليه.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنّه قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار، فسلّم على النّبيّ ﷺ، ثمّ قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلقاً» قال: فأي المؤمنين أكيس[1]؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس»[2].

رابعاً: التفكّر بأهوال ما بعد الموت:

وهكذا قادنا التفكّر بالموت إلى التخوّف ممّا يعقبه من أهوال ومخاوف، ويبدأ ذلك بأهوال القبور والبرزخ[3]، ولا

---

(١) أي: أعقل.

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٣٥)، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٣٨٤).

(٣) انظر كتابي «القبر عذابه ونعيمه».

تظنّن أنّ الأمر عنك بعيد، فرسول الله ﷺ يحذّرنا من هذا فيقول: «الجنّة أقرب إلى أحدكم من شراك[1] نعله، والنّار مِثْل ذلك»[2].

والنصوص في هذا المجال كثيرة جدّاً، سأذكر القليل عظةً وذكرى:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنّا مع رسول الله ﷺ إذ سَمعَ وجبة[3] فقال النّبيّ ﷺ: تدرون ما هذا؟

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا حَجرٌ رُمي به في النّار منذُ سبعين خريفاً؛ فهو يهوي في النّار الآن، حتى انتهى إلى قعرها»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ طرْفَ صاحب الصُّور[5] منذُ

---

(١) الشراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها، وانظر «النهاية»، و«فيض القدير». والسِّير: الذي يعدُّ من الجلد. «المحيط».

(٢) أخرجه البخاري: ٦٤٨٨.

(٣) الوجبة: السقطة مع الهدّة. «النهاية».

(٤) أخرجه مسلم: ٢٨٤٤.

(٥) الصور: قرْن يُنفخ فيه، هكذا في الحديث الذي أخرجه ابن =

وُكِّل به مُستعدٌ ينظُر نحو العرش؛ مخافة أن يُؤمَر قبل أن يرتدّ إليه طَرْفه، كأنّ عينيه كوكبان دُرّيان»[1].

وفي رواية: «كيف أنعمُ وقد التقمَ صاحب القرنِ القرنَ، وحنَّى جبهته، وأصغى سمْعه، ينتظر إن يؤمر أن يُنفخ، فينفخ.

قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟

قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكَّلنا على الله ربنّا ـ وربما قال سفيان: على الله توكلنا ـ»[2].

كيف أنعَم بالاً في المباحات، وفيما أحلّ الله ـ عزّ وجلّ ـ!

= المبارك في «الزُهد» وعنه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٨٦)، وأبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٦٨) وغيرهم، وهو حديث صحيح خرَّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٠٨٠).

(١) أخرجه الحاكم وغيره، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٠٧٨).

(٢) أخرجه أحمد، وابن المبارك في «الزهد»، والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٨٥) وغيرهم، وخرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٠٧٩).

فكيف بمن يقترف الخطايا والآثام؛ وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى السَّمْع، متى يُؤمر بالنفخ فينفُخ.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُرسل البُكاء على أهل النّار فيبكون حتى تنقطع الدُّموع، ثم يبكون الدّم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود[1]، لو أُرسلت فيها السُّفُنُ لجرت»[2].

وفي رواية: «يا أيها النّاس ابكوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا، فإنّ أهل النار يبكون في النّار حتى تسيل دموعهم في خدودهم، كأنها جداولُ حتّى تنقطع الدُّموع، فيسيل ـ يعني الدم ـ فيُقْرحُ العيون»[3].

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إنّ أهل النار يدعون مالكاً، فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثمّ يقول:

---

(١) الأخدود: الشقُّ في الأرض وجمعه الأخاديد.

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٩١) وأبو يعلى، وحسنّه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٦٧٩).

(٣) حسنّه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب»، وذكرته في (باب التباكي).

إنّكم ماكثون، ثمّ يدعون ربهم فيقولون: ربّنا أخرجنا منها فإنْ عُدنا فإنّا ظالمون، فلا يُجيبهم مثلَ الدُّنيا، ثمّ يقول: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾، ثمّ ييأس القوم، فما هو إلاّ الزفير والشهيق، تُشبه أصواتهم أصوات الحمير أوّلها شهيقٌ وآخرها زفير»[1].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أمامكم عقبة كؤوداً لا يجوزُها المُثقلون»[2].

وفي لفظ: عن أُمّ الدّرداء عن أبي الدّرداء ـ رضي الله عنهما ـ قالت: قلت له: ما لك لا تطلب ما يطلب فُلانٌ

---

(١) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٤٩٢): أخرجه الطبراني موقوفاً، ورواته محتجّ بهم في «الصحيح» والحاكم ...»، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٩١).

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/١٣١): «أخرجه البزار بإسناد حسن، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٦٣): أخرجه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير أسد بن موسى بن مسلم الصغير وهما ثقتان، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٧٦).

وفلان؟ قال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ وراءكم عقبة كؤوداً لا يجُوزُها المُثقلون فأنا أُحِبُّ أن أتخفّف لِتلك العقبة»[1].

ولتحقيق ذكر الموت والتفكُّر فيما بعده من أهوال؛ لا بدَّ من:

خامساً: زيارة القبور:

لقوله ﷺ: «نهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها»[2].

وفي رواية: «فزوروا القبور؛ فإنها تذكّر الموت»[3].

وفي رواية: «ولتزِدكم زيارتها خيراً»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني بإسناد صحيح، كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٢١) وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم: ٩٧٧.

(٣) أخرجه مسلم: ٩٧١.

(٤) أخرجه أحمد وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ في «أحكام الجنائز» (ص١٧٨).

وفي رواية أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي نَهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنّ فيها عبرة»[1].

وفي رواية أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنّها تُرقّ القلب، وتُدمع العين، وتذكّر الآخرة»[2].

سادساً: اجعل الآخرة همّك:

عن عبدالرحمن بن عثمان بن عفان عن أبيه؛ قال: خرج زيد بن ثابت من عند مروان، بنصف النهار قلت: ما بعثَ إليه هذه الساعة، إلا لشيءٍ سأل عنه، فسألتُه، فقال: سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدُّنيا همّه، فرّق الله عليه أمره،

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وشيخنا في «أحكام الجنائز» (ص١٧٩).

(٢) أخرجه الحاكم وغيره، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «أحكام الجنائز» (ص١٨٠).

وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيَّته، جمع الله له أمره، وجعل غناهُ في قلبه، وأتته الدُّنيا وهي راغمة»[1].

وعن عبدالله: سمعْت نبيّكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همّاً واحداً، همَّ المَعَاد، كفاهُ الله همَّ دُنياه، ومن تشعَّبَتْ به الهموم في أحوال الدُّنيا، لم يبال الله في أيِّ أوديته هلك»[2].

وعن أبي هريرة؛ عن النّبيّ ﷺ قال: «يقول الله ـ سبحانه ـ: يا ابن آدم! تفرّغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسُدَّ فقرك، وإنْ لم تفعلْ، ملأتُ صدرك شُغلاً، ولم أسُدَّ فقرك»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣١٣)، وابن حبان، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (٩٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٠٧) وغيره، وهو حديث حسن خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٢٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٠٦)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣١٥)، وابن حبان وغيرهم، وهو حديث صحيح مُخرَّج في «الصحيحة» (١٣٥٩).

سابعاً: تدبُّر القرآن العظيم:

قال الله تعالى: ﴿أفلا يتدّبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾[1].

وتدبُّر كتاب الله من أقوى سُبُل استجلاب البكاء، ولا بدّ لك من الاهتمام بتفسيره مستعيناً بالعلماء وأهل التفسير قدْر المستطاع، واقرأه وكأنه عليك أُنزل، كما قال بعضهم.

ومن مثل هذا ما ثبت عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رجلاً قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي مملوكين؛ يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم، وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

قال: «يُحسب ما خانوك وعصوك وكذّبوك، وعقابك إياهم؛ فإنْ كان عقابك إيّاهم بقدر ذنوبهم، كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتصَّ لهم منك الفضل.

---

(١) محمّد: ٢٤.

قال: فتنحّى الرّجل فجعل يبكي ويهتف[1]، فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً**﴾[2]. الآية.

فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجدُ لي ولهم شيئاً خيراً من مُفارقتهم، أُشهِدك أنّهم أحرارٌ كلّهم[3].

وقال ابن عُيينة: لما حضرت محمّد بن المُنكدر الوفاة جزع، فدعوا له أبا حازم فجاء، فقال له ابن المُنكدر: إن الله يقول: ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ فأخاف أن يبدوَ لي ما لم أكن أحتسب، فجعلا يبكيان جميعاً[4].

---

(١) أي: يصيح.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٣١)، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٠٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، وزاد ابن أبي الدنيا: «فقال له أهله: دعوناك لتخفّف عليه فزدته فأخبرهم بما قال»، وانظر «المحجّة في سير الدُّلجة» لابن رجب (ص٩١).

ثامناً: الاهتمام باستماع قراءة القرآن الكريم الخاشعة المؤثّرة، والاستكثار من قراءة كتب الرقائق[1]:

تاسعاً: الإكثار من الأذكار وقراءة القرآن العظيم:

فإنّ لهذا أثراً كبيراً في طرْد الشيطان ورقّة القلب وبكاء العين.

ويحكى أنّ رجلاً شكا إلى الحسن قساوة قلبه، فقال: ادنه من الذّكر، وقال: مجالس الذّكر محياة العِلم وتُحدِث في القلب الخشوع.

القلوب الميّتة تحيا بالذّكر؛ كما تحيا الأرض الميتة بالقطر[2].

---

(١) ومن ذلك: «الزهد» لابن المبارك و«الزهد» للإمام أحمد و«التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومؤلفات ابن قيم الجوزية في ذلك، و«تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» للقاسمي، وكتب الشيخ عبدالعزيز السلمان.

(٢) انظر - إن شئت - «لطائف المعارف» (مجلس في فضل التذكير بالله تعالى ومجالس الوعظ) ففيه كلام طيب.

عاشراً: الاستغفار ومحاسبة النّفس:

لا شكّ أن للاستغفار أثراً كبيراً في جلاء القلوب وصقلها، كما أنّه يُمدّ النفوس بالقُوّة والثبات.

وكلّما صدق الإنسان في استغفاره ازداد شعوره بالخشوع ورِقّة القلب.

وللإكثار من الاستغفار ـ كما هو شأن النّبيّ ﷺ ـ فلا بُدّ من محاسبة النّفس وتذكُّر الذنوب كما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدَّمت لغد**﴾[1].

فقد أمَر الله ـ عزّ وجلّ ـ بمحاسبة النفس والعمل الصالح والإعداد ليوم المعاد.

وقال الله سبحانه: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾[2].

«قال عكرمة في تفسير الآية الآخيرة: يلوم على الخير

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) القيامة: ١ ـ ٢.

والشر؛ لو فعلت كذا وكذا.

وعن سعيد بن جبير قال: تلوم على الخير والشر.

وعن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه.

وقيل غير ذلك»[1].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل؛ يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا ـ قال أبو شهاب[2] بيده فوق أنفه ـ»[3].

ويروى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»[4].

ويروى عن ميمون بن مهران أنه قال: «لا يكون العبد من المتقين؛ حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه،

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» إتماماً للفائدة.

(٢) وهو أحد الرواة.

(٣) أخرجه البخاري: ٦٣٠٨.

(٤) ذكره الترمذي معلّقاً من غير جزم، وانظر «الترمذي مع تحفة الأحوذي» تحت الحديث (٢٥٧٧).

والشريكان يتحاسبان بعد العمل»[1].

و «المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خفّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة؛ على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة»[2].

وحذار من محقّرات الذنوب، فرسول الله ﷺ يقول: «إياكم ومحقّرات الذنوب؛ فإنما مثل محقّرات الذّنوب؛ كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإنّ محقّرات الذنوب؛ متى يؤخَذ بها صاحبها تُهلكه»[3].

حادي عشر: إحسان الصلاة[4]:

عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا

---

(١) ذكره الترمذي أيضاً معلّقاً من غير جزم، وانظر الترمذي مع «تحفة الأحوذي» تحت الحديث (٢٥٧٧).

(٢) يروى عن الحسن ـ رحمه الله ـ ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه أحمد وغيره، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (٣٨٩).

(٤) انظر كتابي «الصلاة وأثرها في زيادة الإيمان وتهذيب النفس».

رسول الله! علّمني وأوجز. قال: «إذا قُمتَ في صلاتك، فصلّ صلاة مُودِّع، ولا تكلّم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عمّا في أيدي الناس»[1].

فأحسِنْ بها من صلاة؛ صلاة مودّع للدنيا وزينتها وزخرفها، يذكر الإنسان فيها الموت، وما فيه من مرققاتٍ للقلب ومُبكياتٍ للعين!

ثاني عشر: التباكي[2]:

واعلم ـ يرحمك الله ـ أنّ التباكي دون البكاء في المنزلة

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ»، وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٤٠١) (٢٨٣٩).

(٢) قال ابن القيّم في «زاد المعاد» (١/ ١٨٥): بعد أن تكلّم في أنواع البكاء: وما كان مُستدعى متكلّفاً، فهو التباكي، وهو نوعان: محمود ومذموم.، فالمحمود: أن يُستجلب لرقة القلب، ولخشية الله، لا للرياء والسمعة.

والمذموم: أن يُجتلب لأجل الخلق... وذكر قول عمر ـ رضي الله عنه ـ في شأن أسارى بدر: ... وإنْ لم أجد تباكيت لبكائكما. ولم ينكر عليه ﷺ. وقد قال بعض السلف: «ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا».

والمرتبة، ولكنّه سبيل البكاء، وذلك لأنّ المتباكي ممّن يجاهد نفسه ويُحاسبها، وممّن يسعون لتحقيق مرضاة الله ـ عزّ وجلّ ـ والله سبحانه يقول: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلنا**﴾[1].

فمن جاهد نفسه في التباكي؛ فقد هداه الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى البكاء ووَفّقه إليه.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس! ابكوا فإن لم تبكوا فتباكُوا؛ فإنَّ أهل النار يبكون في النّار حتى تسيل دموعهم في خدودهم؛ كأنها جداول حتى تنقطع الدموع؛ فيسيل ـ يعني الدم ـ فيُقرح العيون»[2].

فتأمّل كيف كان رسول الله ﷺ يأمر بالبكاء أو التباكي، وهو يُبيّن بكاء أهل النّار، الدموع في الخدود والوجوه؛ كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فيسيل الدّم فيُقرح العيون.

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) حسنّه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب»، وتقدّم.

فماذا تريد بعد هذا يا عبدالله حتى تبكي!

فوالله إنها لموعظة بليغة؛ تكفيك للتوبة والإنابة والبكاء، فهل أمِنْتَ هذا المشهد؟

وهل ضمنْتَ النجاة والجنّة، فابْك الدموع الآن؛ بكاءً تُؤجر عليه في دنياك؛ قبل أن تبكي الدم الذي لا أجر لك فيه ولا ثواب في أُخراك.

فإن لم تبْك أو تتباكَ؛ فإيمانك ضعيف، والدنيا قد أخذت مأخذها منك، وأنت على خطر عظيم، ففرَّ إلى الله، واغتنم الحياة قبل الممات، وسارع إلى التوبة النصوح، والإنابة الصادقة، والأعمال الصالحة.

عن ابن أبي مُليكة قال: جلَسْنا إلى عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في الحجر فقال: ابْكُوا، فإن لم تجدوا بُكاء فتباكوا، لو تعلموا العِلْمَ لصلّى أحدُكم حتّى ينكسر ظهره، ولبكى حتّى ينقطع صوته[1].

---

(١) قال في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٣٠): «رواه الحاكم مرفوعاً، وقال: صحيح على شرطهما. قال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «التعليق الرغيب»: كذا والظاهر أنّه خطأ مطبعيّ؛ كما يدلّ عليه =

وفي قصة أُسارى بدر قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: فلمّا أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العمّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فديةً، فتكون لنا قوةً على الكُفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب!» قلت: لا والله يا رسول الله. ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنّي أرى أن تمكِّنا فنضرب أعناقهم، فتُمكِّن عليّاً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّنّي من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإنّ هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها[1].

فهَوي[2] رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر. ولم يهو ما

= السياق، وهو كذلك في «المستدرك» (٤/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩)، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وهو كما قال، وكذا أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٠٧) موقوفاً.

(١) قال في «النهاية»: «فيه ذِكْر «صناديد قُريش» من غير موضع، وهم أشرافهم، وعُظماؤهم ورؤساؤهم، الواحد صنديد، وكل عظيم غالب صنديد».

(٢) فهَوي: أي: أحبَّ ذلك واستحسنه.

قلت.

فلمّا كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدَين يبكيان.

قلت: يا رسول الله! أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدْت بُكاءً بكيت، وإن لم أجد بُكاءً تباكيتُ لبُكائكما.

فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للّذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبيّ الله ﷺ) وأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتّى يُثخن في الأرض[1]...﴾ إلى قوله: ﴿فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً﴾[2]، فأحلّ الله الغنيمة لهم»[3].

---

(١) ﴿حتّى يُثخن في الأرض﴾: أي: يكثر القتل والقهر في العدّو. قال في «النهاية»: الإثخان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه. يقال: أثخنه المرض إذا أثقله ووهنه، والمراد به ها هنا المبالغة في قتل الكفار».

(٢) الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩.

(٣) أخرجه مسلم: ١٧٦٣.

ثالث عشر: الاستماع إلى المواعظ:

وفي ذلك نصوص كثيرة؛ منها حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ المتقدّم: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون...».

وتقدّم قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾[1]، تقدّم أنّهم ممّن مالوا إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظ الله.

جاء في «لطائف المعارف» (ص٥١ ـ ٥٢): «المواعظ: سياطٌ تُضرب بها القلوب، فتؤثّر في القلوب، كتأثير السياط في البدن، والضّرب لا يؤثر بعد انقضائه؛ كتأثيره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التألّم بحسب قوّته وضعفه، فكلّما قوي الضرب؛ كانت مدّة بقاء الألم أكثر.

كان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذّكر؛ خرجوا وعليهم السكينة والوقار؛ فمنهم من كان لا

---

(١) الحديد: ١٦.

يستطيع أن يأكل طعاماً عقيب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدّة.

كان الحسن إذا خرج إلى الناس، فكأنّه رجل عاين الآخرة؛ ثمّ جاء يُخبر عنها، وكانوا إذا خرجوا من عنده، خرجوا وهم لا يعدّون الدنيا شيئاً.

وكان سفيان الثوري يتعزّى بمجالسه عن الدنيا.

وكان أحمد لا تُذكر الدنيا في مجالسه ولا تُذكَر عنده.

قال بعضهم: لا تنفع الموعظة إلاّ إذا خرجت من القلب، فإنها تصل إلى القلب، فأمّا إذا خرجت من اللسان؛ فإنها تدخل من الأذان، ثم تخرج من الأخرى».

رابع عشر: تطهير القلب من أدران الغل وأوحال الحسد وأوساخ الغش:

وهذا الأمر له أثره الكبير في استجلاب البكاء وعدمه يُعيق ذلك ويمنعه.

خامس عشر: الإكثار من النوافل:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددّتُ عن شيء أنا فاعله؛ ترددّي عن قبض نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1].

فأكثر من النوافل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

أكثر من نوافل الصلاة والصيام والزكاة والحجّ وكل برٍّ وخير تقدر عليه؛ حتّى يحبّك الله ـ تعالى ـ ويعطيك ما تسأله، وليكن من أولويات ذلك؛ أن يرزقك البكاء من خشيته.

سادس عشر: التقلّل من الدنيا والزّهد فيها:

فإنَّ حبّ الدنيا سبب في قسوة القلوب والصدّ عن سبيل الله، والزهد فيها سبب في لين القلوب وخشوعها

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٠٢ وغيره، وانظره وتخريجه وما فيه من فوائد في «الصحيحة» (١٦٤٠).

وبكاء العيون ودموعها.

فحذار من التنعم والاستكثار منه، وعليك بالزهد في الدنيا والتقلّل منها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأكثر من الكتب التي تحثّ على ذلك[1].

وتأمَّل هدي النّبيّ ﷺ في الزهد، وتدبّر منهجه في خشونة العيش؛ في الطعام والشراب واللباس والأثاث... من ذلك:

ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما شبع آل محمّد منذ قَدِم المدينة من طعام بُرٍّ؛ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قُبض»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا؛ ولم يشبع من خبز الشعير»[3].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما شبع آل محمّد

---

(١) انظر في هذا الموضوع كتاب «رياض الصالحين» (باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر) و (باب فضل الجوع وخشونة العيش..).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٤٥٤، ومسلم: ٢٩٧٠.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٤١٤.

ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين؛ حتى قُبض رسول الله ﷺ »[1].

وعن عروة عن عائشة أنها قالت لعروة: « ابن أختي! إن كنّا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلةٍ في شهرين، وما أوقِدت في أبيات رسول الله نار.

فقُلت: ما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح[2]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه »[3].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: « ما أعلم النّبيّ ﷺ رأى رغيفاً مرقّقاً[4] حتى لَحِق بالله »[5].

---

(١) انظر مسلم تحت الحديث: ٢٩٧٠.

(٢) قال في « النهاية »: منيحة اللبن: أن يُعطيه ناقة أو شاة؛ ينتفع بلبنها ويُعيدها، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زماناً ثمّ يردّها.

(٣) أخرجه البخاري: ٦٤٥٩، ومسلم: ٢٩٧٢.

(٤) هي الأرغفة الواسعة الرقيقة. « النهاية ».

(٥) أخرجه البخاري: ٥٣٨٥ و ٦٤٥٧، ومواطن أُخرى.

وعن سماك قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: «ألستم في طعامٍ وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقل[1] ما يملأ به بطنه»[2].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أُدم[3]، حشوه ليف»[4].

وعن أبي بُردة قال: «أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزاراً غليظاً فقالت: قُبض روح النّبيّ ﷺ في هذين»[5].

والأحاديث في ذلك كثيرة[6].

---

(١) وهو التمر الرّديء.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٩٧٧.

(٣) أي: من جلد.

(٤) أخرجه البخاري: ٦٤٥٦، ومسلم: ٢٠٨٢.

(٥) أخرجه البخاري: ٥٨١٨، ومسلم: ٢٠٨٠.

(٦) وانظر للمزيد في ذلك «صحيح البخاري» (كتاب الأطعمة) «باب ما كان النّبيّ ﷺ وأصحابه يأكلون و (كتاب الرقاق) «باب كيف كان يعيش النّبيّ ﷺ وأصحابه» و «صحيح مسلم» (كتاب الزهد والرقائق) و «رياض الصالحين» (باب فضل الجوع وخشونة العيش...).

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصبّاح، وإذا أصبحْت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[1].

فهلمّ بنا يا أخي إلى حياةٍ كحياة الغرباء أو عابري السبيل... في السلوك والتخلّق والمطعم والمشرب والمسكن وكلّ ما نستطيع، نرقب الوصول إلى المقرّ الأصيل... وبهذا لا ننتظر الصباح إذا أمسينا، ولا ننتظر المساء إذا أصبحنا، لا نُسوِّف في توبة أو إنابة أو أداء حقٍ من الحقوق، أو عمل خيرٍ من الخيرات.

نعمل وكأننا نرى القيامة رأي عين، نأخذ من صحتنا لمرضنا، ونوظّف الصحّة في الطاعات، ونستغلّ الحياة للنجاة من أهوال ما بعد الممات.

وهل يسعى الغريب عن موطنه وأهله وأبنائه وعشيرته

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٤١٦.

وأقربائه إلى بناء قصرٍ في بلاد الغُربة!

أم يسكن عابر السبيل في الطريق المنقطع الأجدب!

فأنتَ ـ يرحمك الله ـ غَريب، غريب في هذه الدنيا، بعيد عن مسكن الجنّة وعن زوجك وأبنائك هناك، هذا إذا كنت من أهلها، فكيف إذا كنت ممن يعملون أعمال أهل النّار، لا سكن لك في جنّةٍ، ولا أهل لك فيها ولا ولد، والعذاب شرٌّ غائب ينتظرك.

فحذار حذار من التنعمّ، فرسول الله ﷺ يقول: «إياك والتنعّم، فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعّمين»[1].

وعليك بالبذاذة فرسول الله ﷺ يقول: «البذاذة من الإيمان»[2] قال: البذاذة القشافة. يعني التقشّف.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو نعيم في «الحلية»، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٥٦٦٢): إسناده جيّد، وانظر تفصيله في «الصحيحة» (٣٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٢٤)، وهو حديث صحيح مخرّج في «الصحيحة» (٣٤١).

سابع عشر: رحمة اليتيم وإعانته ومسْح رأسه وإطعامه:

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: «أتى النّبيّ ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، قال: أتحب أن يلين قلبك؟ وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك، وتدرك حاجتك»[1].

ثامن عشر: الإقلال من الضّحك:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُكثروا الضحك، فإنّ كثرة الضحك تُميت القلب»[2].

تاسع عشر: الخوف من عدم قَبول الأعمال:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «قلت: يا رسول الله! ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقُلوبهم وجِلة﴾[3]. أهو

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ بطرقه وشواهده في «الصحيحة» تحت الحديث (٨٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٨١) وغيره، وهو حديث صحيح خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (٥٠٦).

(٣) المؤمنون: ٦٠.

الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا. يا بنت أبي بكر. (أو يا بنت الصّدِّيق.) ولكنّه الرّجل يصوم ويتصدّق ويُصلّي، وهو يخاف أنْ لا يُتقبّل منه»[1].

مواقف وأقوالٌ مأثورة في البكاء من خشية الله تعالى والحزن والتذكير بالآخرة[2].

عن جعفر بن برقان قال: بلغنا أن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان يقول: «أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، ضحكْت من مؤمّل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يُغفَل عنه، وضاحك ملء فيه؛ لا يدري أمسخِطٌ ربَّه أو مُرضيَه.

وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمّد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين؛ حين لا

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٨٤) وغيرهما، وهو حديث حسن خرّجه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٦٢).

(٢) جميع هذه الأقوال من كتاب «حلية الأولياء» واستفدتها من كتاب «روض الزاهدين»، وهو اختصار له.

أدري إلى النّار انصرافي أم إلى الجنّة».

وعن سفيان الثوري قال: قام أبو ذرّ الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس! أنا جندب الغفاري، هلمّوا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: «أرأيتم لو أنّ أحدكم أراد سفراً؛ أليس يتخذ من الزاد ما يُصلحه ويُبلغه؟» قالوا: بلى.

قال: «فسفر يوم القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم»، قالوا: وما يُصلحنا؟

قال: «حجّوا حجّةً لعظام الأمور، صوموا يوماً شديداً حره لطول النشور.

صلّوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدَّق بمالك لعلك تنجو من غيرها.

اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده.

اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حله،

ودرهماً تقدّمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده».

وعن سلام بن أبي مطيع قال: «أُتِيَ الحسن بكوز من ماء؛ ليفطر عليه، فلمّا أدناه إلى فيه بكى وقال: ذكرت أُمنية أهل النّار قولهم: ﴿أن أفيضوا علينا من الماء﴾، وذكرت ما أُجيبوا ﴿إنّ الله حرّمهما على الكافرين﴾[1]».

وعن الحسن قال: إنكم أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابكم، والنّار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله في كلّ يوم وليلة، ولينظر امرؤ ما قدَّم لنفسه».

وعنه قال: «ابن آدم! إنما أنت أيّام، كلّما ذهب يومٌ ذهب بعضك».

وعنه أيضاً قال: «يحقّ لمن يعلم أنّ الموت مورده، وأنّ الساعة موعده، وأنّ القيام بين يدي الله ـ تعالى ـ مشهده؛ أن يطول حُزنه».

عن ثابت البناني قال: «كنّا نتبع الجنازة؛ فما نرى إلاّ

---

(١) الأعراف: ٥٠.

متقنّعاً متفكراً».

عن الأعمش قال: «إن كنّا لنشهد الجنازة؛ فلا ندري من نعزّي من حزن القوم».

وعن سفيان بن عيينة قال: قال إبراهيم التيمي: «مَثَّلْتُ نفسي في النّار؛ أُعالج أغلالها وسعيرها، وآكل من زقومها، وأشرب من زمهريرها، فقلت: يا نفسي أي شيء تشتهين؟

قالت: أرجع إلى الدنيا أعمل عملاً أنجو به من هذا العذاب، ومثَّلْت نفسي في الجنّة مع حورها، وألبس من سندسها وإستبرقها وحريرها، فقلت: يا نفسي أي شيء تشتهين؟

قالت: أرجع إلى الدنيا، فأعمل عملاً أزداد من هذا الثواب، فقلت: أنت في الدنيا وفي الأمنية».

وعن بكير ـ أو أبي بكير ـ عن إبراهيم التيمي قال: «ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَن**﴾[1]،

---

(١) فاطر: ٣٤.

وينبغي لمن لم يُشفق؛ أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنّة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[1].

وعن زكريا العبدي عن إبراهيم النخعي: «أنه بكى في مرضه، فقالوا له: يا أبا عمران! ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي، وأنا أنتظر رسولاً من ربي؛ يبشّرني إمّا بهذه وإمّا بهذه؟!».

عن هشام بن حسان قال: «كان محمّد بن واسع إذا قيل له كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال: ما ظنّك برجل يرحل كلّ يوم إلى الآخرة مرحلة».

من ثمرات البكاء من خشية الله تعالى

هناك ثمرات عديدة كثيرة؛ يجنيها الباكون من خشية الله ـ تعالى ـ المخلِصون في ذلك منها:

١ـ يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

٢ـ لا يَلجون النّار ولا تمسُّهم.

٣ـ الفوز بحب الله ـ تعالى ـ لقوله ﷺ: «ليس شيءٌ

---

(١) الطور: ٢٦.

أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله...»[1].

٤ـ البشرى بطوبى والفوز بالجنّة وما فيها من نعيم وسرور في الآخرة ﴿ **فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً** ﴾[2].

٥ـ الاستقامة في الدنيا والتلّذذ بحلاوة الإيمان.

٦ـ زيادة الإيمان والهدى.

٧ـ الطمأنينة والراحة النفسية.

٨ـ يجعل الله ـ سبحانه ـ لهم المخرج، ويرزقهم الرزق الحسن من حيث لا يحتسبون ﴿ **ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[3].

٩ـ يجعل الله ـ سبحانه ـ لهم من أمرهم يُسراً ﴿ ومن يتّق

---

(١) تقدّم.

(٢) الإنسان: ١١ ـ ١٢.

(٣) الطلاق: ٢ ـ ٣.

الله يجعل له من أمره يُسراً ﴾[1].

١٠ـ يحظون بالتأسّي بالنّبيّ ﷺ؛ لأن البكاء من خشية الله ـ تعالى ـ من هديه.

١١ـ يحظون بالاقتداء بالصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ لأن البكاء من خشية الله ـ تعالى ـ من هديهم.

١٢ـ يتلذّذون في الجنّة بذكر الخوف والبكاء في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنّا كنّا قبلُ في أهلنا مشفقين فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السَّموم إنّا كُنّا من قبل ندعوه إنّه هو البَرُّ الرحيم** ﴾[2].

---

(١) الطلاق: ٤.

(٢) الطور: ٢٦ ـ ٢٨.

الفهرس

المقدّمة ٥

آيات قرآنية في البكاء من خشية الله تعالى ٩

أحاديث شريفة في البكاء من خشية الله ٩

التحذير من قسوة القلب ١٣

البكاء رحمة جعلها الله في قلوب العباد ١٥

بكاء النّبيّ ﷺ ١٦

بكاء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ٢١

بكاء أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ٢٢

بكاء عمر ـ رضي الله عنه ـ ٢٤

بكاء عثمان ـ رضي الله عنه ـ ٢٤

بكاء عائشة ـ رضي الله عنها ـ ٢٥

بكاء أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ ٢٧

بكاء عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ ٢٨
بكاء سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ ٢٨
بكاء أبي هاشم بن عتبة ـ رضي الله عنه ـ ٢٩
السبيل إلى البكاء من خشية الله ـ تعالى ـ ٣٠
تقوى الله ـ سبحانه ـ والمجاهدة فيه والإخلاص له ... ٣٠
العلم ٣١
ذكر الموت ٣٤
التفكّر في أهوال ما بعد الموت ٣٥
زيارة القبور ٤٠
اجعل الآخرة همّك ٤١
تدبّر القرآن العظيم ٤٣
الاهتمام باستماع قراءة القرآن الكريم الخاشعة
والاستكثار من كتب الرّقاق ٤٥
الإكثار من الأذكار وقراءة القرآن العظيم ٤٥
الاستغفار ومحاسبة النفس ٤٦

إحسان الصلاة ٤٨
التباكي ٤٩
الاستماع إلى المواعظ ٥٤
تطهير القلب من أدران الغلّ وأوحال الحسد وأوساخ
الغش ٥٥
الإكثار من النّوافل ٥٥
التقلل من الدنيا والزّهد فيها ٥٦
رحمة اليتيم وإعانته ومسْح رأسه وإطعامه ٦٢
الإقلال من الضّحك ٦٢
الخوف من عدم قبول الأعمال ٦٢
مواقف وأقوال مأثورة في البكاء من خشية الله
ـ تعالى ـ والحُزن والتذكير بالآخرة ٦٣
من ثمرات البكاء من خشية الله تعالى ٦٧
الفهرس ٧٠